مقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أكرم الخلق وأفضل المرسلين.

قضية التأويل في القرآن الكريم بين الغلاة والمعتدلين، موضوع واسع مترامي الأطراف يصعب في مستوى المجهود الفردي الإحاطة به إلا إحاطة نسبية.

ومع هذه الصعوبة الدافعة إلى شديد الحذر، وأكيد التريث، بل إلى الإحجام عن معالجة مثل هذا الموضوع، الذي يتطلب عملاً جماعياً يتوارى ويتضاءل أمامه العمل الفردي، استعنت بالله ـ عزّ وجلّ ـ فأقدمت عليه.

وإني أحمد الله وأشكره على ما مدّني به من عون وتوفيق فقمت بهذا المجهود العظيم وأتممت هذا العمل العلمي الواسع في أبعاده، والمترامي في قضاياه ومسائله.

وقد اتخذت سندي في هذا المجهود عدداً كبيراً من المصادر والمراجع، ذات الاختصاصات المتنوعة، والتي منها ما يعالج التأويل من قريب، ويتناوله من جميع وجوهه وقضاياه، ومنها ما يعالجه من بعيد، ويتناوله من بعض جوانبه، ويطرح بعضاً من جزئياته.

كما اتخذت سندي عدداً آخر من المصادر والمراجع ذات الاختصاص التاريخي والدراسي للمدارس والمذاهب والفرق التي لها أثر بارز، وعطاء متميز في مجال التأويل.

وهذه المصادر والمراجع بأنواعها العديدة، وبكثرة عددها مذكورة في فهرسها ضمن قائمة الفهارس الخاتمة للموضوع.

وميزة هذا المجهود تتمثل في ضبط الموضوع رغم اتساعه، وتخطيط مراحله، رغم ترامي قضاياه وكثرة مسائله، ضبطاً وتخطيطاً لم أسبق بهما لا من حيث منهج وأسلوب البحث، ولا من حيث البيان وبسط الموضوع، ولا من حيث إثارة المشاكل وطريقة معالجتها، والإجابة عنها ولا من حيث طرح الآراء وبيان ما تتطلبه من توضيح، ونقد، وتصويب.

وقد أخرجت هذا المجهود بمنهجية يبرز فيها بيان وتوضيح محتوى كل باب، وموضوع ومسائل كل فصل، بأمثلة مؤيدة للرأي إن كان صواباً، ومبطلة له، إن كان خطأ.

وقد حرصت أن يكون عملي هذا جديداً من حيث إطاره وأسلوبه، ومن حيث بحث قضاياه وعرض مسائله، كما حرصت أن أكون غير مسبوق به، إذ لم أره لغيري من قبل.

وهذا المجهود بخصائصه التي ذكرت، بدأته، وأتممته حسب المنهجية والمرحلية التالية:

بابان وعشرة فصول:

الباب الأول:

موضوعه: التأويل في إطاره الإسلامي من حيث مفهومه المطلق ـ لغة واصطلاحاً ـ، ومن حيث دوافعه، وأبعاده وشروطه، ومن حيث الغلاة

والمعتدلون فيه، وما كان لهما من عطاء، ونوع عطاء كل منهما، وهو يشتمل على خمسة فصول:

الفصـل الأول:

موضوعه: التأويل من حيث مفهومه المطلق، ـ لغة واصطلاحاً.

مسائلـه:

ـ التأويل لغة

ـ التأويل اصطلاحاً:

- في لفظ السلف.
- في عرف المتأخرين.
- عند علماء الكلام.
- عند علماء أصول الفقه.
- عند الفقهاء.
- عند الصوفية.
- عند الفلاسفة المسلمين.
- عند الباطنية.

ـ عرض رأي لبعض مدرسي الفلسفة، ونقده.

ـ بسط رأي لباحث ملحد، وكشف ما فيه من رعونة، ومن تجنّ على الحقيقة ومن تحامل على الدين الحق.

ـ التأويل في إطاره الإسلامي واللون الذي يرفضه.

الفصـل الثـاني:

موضوعه: دوافع التأويل وغاياته، ضوابطه وشروطه.

obeikandl.com

مسائلــه:

● **الدافع الأول** والغاية منه، ومن أين ينبع.

● ذكر نماذج من التأويل تبرز إطار هذا الدافع وتوضح غايته، وتفتح الباب إلى معالمه.

● **الدافع الثاني** والغاية التي يخدمها.

● ما يتولد عنه من تأويل يرفضه العقل والنقل.

● ذكر نماذج من التأويل المتولد عنه، توضح كيف انساق أصحابه مع الهوى، واتبعوا الشهوات.

● للدافع الأول مسلك وحيد يمثل الخط المستقيم، وهو مسلك الهدى والعلم من غير شبهة. وللدافع الثاني مسالك عديدة حائدة عن طريق الحق، هي مسالك الذين يقودهم الهوى وتدفعهم الشهوات.

● نتائج التأويل الحائد عن طريق الحق.

● وجهة نظر في التأويل الذي تجاوز المعنى المراد من النص ونوع جنايته على الشريعة: (لابن رشد).

● مناقشة ابن رشد في حكمه على علماء الكلام بصفة عامة وفي تحامله على الاشاعرة بصفة خاصة. وعلى الغزالي بصفة أخص.

● **ضوابط التأويل وشروطه.**

● **أنواع التأويل.**

الفصـل الثـالـث:

موضوعه: أبعاد التأويل وآفاقه، ومدى استجابتها للميزان القرآني.

مسائلــه:

- أبعاده تشمل الزمن بوحداته الثلاث: الماضي والحاضر والمستقبل.
- آفاقه تشمل الكون المشاهد، وغير المشاهد.
- ما تولد عنه من مدارس ومذاهب. ومن فرق ونحل.

ـ مدرسة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ والمجالات التي شملتها ببيانها وتفسيرها. وبتأويلها.

ـ مدرسة الصحابة، من بعده ـ عليه الصلاة والسلام ـ وما لها من خصائص.

ـ ما تفرع عنها من مدارس التابعين:

مدرسة المدينة المنورة: وذكر بعض من أعلامها

ـ مدرسة مكة المكرمة: وذكر بعض من أعلامها

ـ مدرسة الكوفة : وذكر بعض من أعلامها

ـ مدرسة البصرة : وذكر بعض من أعلامها

ـ مدرسة مصر : وذكر بعض من أعلامها

ـ مدرسة اليمن : وذكر بعض من أعلامها

ـ مدرسة بغداد : وذكر بعض من أعلامها

ـ مدرسة خراسان : وذكر بعض من أعلامها

ـ مدرسة القيروان : وذكر بعض من أعلامها

- انتهاء فقه مدارس التابعين بمفهومه الواسع إلى أئمة المذاهب:

ـ مذهب الإمام مالك:

- أشهر أصحابه الأئمة الأعلام الذين عملوا على نشر مذهبه:

(بالمدينة المنورة، وبمصر، وبالقيروان، وتونس وبالأندلس).

obeikandl.com

مذهب الإمام الشافعي:

● أشهر أصحابه الأئمة الأعلام الذين عملوا على نشر مذهبه.

مذهب الإمام أبي حنيفة:

● أشهر أصحابه الأئمة الأعلام الذين عملوا على نشر مذهبه.

مذهب الإمام أحمد بن حنبل:

● أشهر أصحابه الأئمة الذين عملوا على نشر مذهبه.

المذهب الظاهري:

● إمامه وبعض أعلامه الذين خدموا المذهب وعملوا على نشره.

ـ بيان أن هذه المدرسة الكبرى وما تفرع عنها من مدارس وما تولّد عنها من مذاهب ستبقى هي المعتمدة والموثوق بها في مجال التأويل الجاد الهادف.

ـ أنواع الأحكام المستمدة من القرآن الكريم، ومن السنة النبوية المبينة له، والتي كان للتأويل دور أساسي في استمدادها.

ـ الميزان القرآني الذي به ندرك متى يكون المتأول متجهاً في طريق الحق؟ ومتى يكون منحدراً إلى هوة الباطل؟

ـ بيان من كان من المتأولين في كفة الميزان التي يعمرها الحق ومن كان منهم في الكفّة التي تنوء بحمل الباطل.

ـ من هم الراسخون في العلم الذين يطمأنّ لتأويلهم حيث هم في كفّة الميزان التي يعمرها الحق؟

الفصل الرابع:

موضوعه: الغلاة والمعتدلون: مقياس الاعتدال والغلو.

مسائلــه:

ـ للوجود عالمان: عالم الشهادة وعالم الغيب.

ـ إلى أي مجال من العالمين يستطيع الإنسان أن يصل بمعرفته؟

ـ مفهوم المعرفة، وتحديد طرقها.

ـ صغر المحدود المتناهي، في مجال المعرفة أمـام اللامحـدود غير المتناهي.

ـ الأمثلة الدالة على ذلك:

- من القرآن.
- من السنة.
- من أقوال العلماء والفلاسفة المسلمين.

ـ من أين يستمد ويستفاد يقين المعرفة؟

ـ ما المراد بالمغالين والمعتدلين؟

ـ المقياس الذي يوزن به الغلو والاعتدال.

ـ ماذا أسقط المغالون من حسابهم في مجال تأويلهم للقرآن.

لتوضيح نوعي التأويل في غلوه واعتداله كان من الأكيد الوقوف ولو قليلاً أمام القصة القرآنية.

ـ القصة القرآنية: خصائصها وأهدافها.

ـ القصص القرآني أقدس من أن يحشر في أقسام من الفن القصصي للبشر، وأرفع من أن تفرض عليه قواعده.

ـ أمثلة توضح منهج كل من المعتدلين والمغالين في تأويلهم للقصة القرآنية.

ـ بيان ما في منهج المعتدلين من صدق ومن تجلية للحقيقة واتباع الحق، وما في صنيع المغالين من افتراء ومن طمس للحقيقـة ومن اتباع للهـوى وللشهوات الآثمة.

● اختيار ما قام به الباحث المصلح محمد قطب نموذجاً لمنهج المعتدلين. وما قام به الدكتور محمد أحمد خلف الله نموذجاً لمنهج المغالين.

ـ المقارنة بين ما في القرآن من قصص وانباء، وما جاء في التوراة وغيرها من الأسفار المقدسة المتداولة عند اليهود والنصارى مقارنة غير موضوعية منافية للعلم في يقينه، وللمعرفة في صدقها.

ـ بيان ما هدف إليه (خلف الله). وفضح ما رمى إليه من هذه المقارنة، وكشف زيف ما ادعاه من البحث الموضوعي، ومن التحري العلمي.

الفصل الخامس:

موضوعه: ـ عطاء المعتدلين، وما في عطائهم من إثراء للفكر الإسلامي، ومن إفادة للفكر الإنساني العام.

وأهداف المغالين وغاياتهم، وما في غلوهم من استخفاف بالفكر، وامتهان للإنسان.

مسائله:

ـ من أين انطلق المعتدلون إلى التأويل، وما كان سندهم فيه. وغايتهم منه.

ـ العطاء الثري للمعتدلين في مجال التأويل، وما فيه من إثراء وإفادة.

● في مجال العقيدة.

ـ نماذج من اسلوب ادلتهم وحججهم في هذا المجال، وبيان الطرق التي سلكوها لاقامتها.

● في مجال الفقه والتشريع.

ـ المصادر الأربعة التي استند عليها المعتدلون في عطائهم في مجال الفقه والتشريع.

ـ اتساع القرآن واحاطته وشموله لكل شؤون الحياة وقضاياها.

ـ اتساع السنّة.

ـ صحيح البخاري وما اشتمل عليه من كتب وأبواب.

ـ الاجماع:

● اركانه، وطرق اثبات حجيته.

ـ القياس وما له من سعة وإحاطة وشمول.

ـ الفقهاء أحاطوا بأنظارهم وآرائهم، وشملوا باستنباطهم واستنتاجهم، كل القضايا وجميع المسائل في مجالي العبادات والمعاملات.

● عطاؤهم في مجال العبادات.

● من مجال العبادات، ومن الدعائم الإسلامية في الإسلام «الجهاد».

● عطاؤهم في مجال المعاملات.

ـ منهج الإسلام في السياسة والحكم.

ـ منهج الإسلام في مجال ما يسمى اليوم بالأحكام الدولية.

ـ منهج الإسلام في الأحكام الاقتصادية والمالية.

● في مجال التفسير والتأويل للقرآن الكريم.

ـ أحاط المعتدلون بعطائهم في هذا المجال بكل قضايا الإنسان وشؤونه، وشملوا كل العلوم والمعارف.

ـ ما ذهب إليه المعتدلون من تفسير وتأويل علمي لم يذهبوا إليه على

obeikandl.com

اعتبار أن القرآن كتاب علوم، أو كتاب فلسفة.

ـ العلماء في استنباط أنواع العلوم والمعارف، واستخراج مسائلها وضبط قواعدها، واستكشاف أبعادها من الإشارات القرآنية بواسطة التأويل على فريقين:

فريق مؤيد وفريق رافض.

- وجهة نظر الفريق الأول ومؤيداتها.
- وجهة نظر الفريق الثاني ومؤيداتها.
- الرأي المختار والموفق بين الوجهتين.

ـ أهداف المغالين وغاياتهم. وما في غلوهم من استخفاف وامتهان للفكر.

ـ ذكر نموذجين من نماذج تأويلهم. ونقدهما ببيان وإبراز ما فيهما من ابتعاد عن الحق ومن زيف ومن افتراء على الواقع خدمة للباطل، واتباعاً للهوى:

- أحدهما من كتاب «الإسلام وأصول الحكم» لعلي عبد الرازق.
- وثانيهما، من محاضرة للدكتور محمد رشاد خليفة يبين فيها المعجزة المادية للقرآن الكريم من عدد (التسعة عشر).

ـ تصدي العلماء للمغالين وفضح زيف تأويلهم، وكشف باطلهم بالميزان القرآني الذي لا يسع العقل السليم إلا الإذعان له، والقلب المطمئن إلا الإيمان به.

الباب الثاني:

موضوعه: ـ التأويل عند الغلاة ـ غايتهم من التأويل ـ خصائص تأويلهم ومجالاته ـ أمثلة من تأويلهم ـ نقدهم، وهو يشتمل على خمسة فصول:

الفصـل الأول:

موضوعه: ـ غلاة الخوارج ـ غايتهم ـ أمثلة من تأويلهم ـ نقدهم.

مسائلــه:

ـ متى ظهرت فرقة الخوارج، والعوامل التي عملت على ظهورها.

ـ المبادىء التي نادوا بها، والألفاظ البراقة التي استحوذت على عقولهم ومداركهم.

ـ مغالاتهم وتهورهم في الحكم على غيرهم.

ـ الأحاديث النبوية الواردة فيهم.

ـ ما وقع بينهم وبين عبد الله بن عباس ـ رض ـ رسول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رض ـ إليهم من حوار ومجادلة.

ـ انقسامهم إلى فرق عديدة، وذكر أشهر فرقهم.

ـ قام مذهبهم على الغلو والتشدد في فهم الدين، فضلّوا من حيث أرادوا الخير وأجهدوا أنفسهم وأجهدوا الناس معهم.

ـ عرض أمثلة ونماذج من تأويلهم تدل على أن سلطان المذهب يغلب عليهم، ويضل طريقهم في فهم نصوص القرآن، ويدفعهم إلى تأويلها تأويلاً يؤدي إلى تحريف المعاني المرادة من آيات كتاب الله.

ـ تناحرهم فيما بينهم واستغلالهم لبعض آيات من القرآن بواسطة التأويل لدعم مبادىء فرقة ضدّ فرقة.

ـ الخوارج بمنهجهم المذهبي، وبأسلوبهم في التفكير، وبطريقتهم في التأويل وبغلوهم في إصدار التكفير على مخالفيهم ما هم إلا ظاهرة تاريخية مريبة في مسيرة الأمة الإسلامية.

ـ من أجل تعصّبهم وغلوّهم حكم عليهم جمهور الأمة بأنهم أهل بدعة وضلالة.

الفصل الثاني:

موضوعه: ـ غلاة الشيعة ـ مفهوم التأويل عندهم ـ أمثلة من منهجهم ـ مناقشتهم.

مسائله:

ـ معنى كلمة «الشيعة» لغة واصطلاحاً.

ـ متى ظهرت فرقة الشيعة.

ـ عوامل التشيع لعلي وآله ـ رضي الله تعالى عنهم ـ.

- العوامل العاطفية.
- العوامل السياسية.
- العوامل العقدية.

ـ تعدد فرق الشيعة وتفرقهم بين غلاة ومعتدلين.

ـ دور الغلاة منهم، ومنهجهم في التأويل وغايتهم منه.

ـ أخطر فرقة من غلاتهم «الباطنية» وغايتهم من التأويل هدم الشرائع عموماً، وهدم الشريعة الإسلامية على الخصوص.

ـ عرض بعض من مقالات دعاتهم وبيان ما فيها من زيف وإفك وضلال.

ـ ذكر أمثلة من تأويلهم وبيان ما فيها من سخافة وهذيان.

ـ تصدّي العلماء لهم، ببيان ما لهم من مخططات ماكرة، وأساليب خادعة، وبفضح مذهبهم الضال، ونحلتهم الملحدة.

ـ جملة المبادىء التي نادت بها الباطنية، وعملت على نشرها بواسطة التأويل الضال الملحد.

ـ حكم علماء المسلمين على غلاة الباطنية بالكفر والإلحاد، ما هو إلا تبليغ لحكم الله فيهم وفي من يتمذهب بمذهبهم ويدين بنحلتهم.

ـ إن الباطنية يعرفون بأسماء عدّة، وأنه لا تزال منهم بقيّة إلى يومنا هذا في كثير من بلاد المسلمين.

ـ من بين هذه الفرق، البابية والبهائية.

- التعريف بهما.
- ارتباطهما ارتباطاً وثيقاً بالباطنية الإسماعيلية في مبادئها وعقائدها.
- ملاحظات حول مزاعمهما وادعاءاتهما.
- أمثلة من تأويلات (الباب) ونقدها ببيان ما تمثله من تحريف وافتراء ومن هوس وتخريف.
- أمثلة من تأويلات (البهاء) ونقدها ببيان ما فيها من هوس وسخافة أشد من هوس (الباب) وأشد قبحاً من سخافته.
- أمثلة من تأويلات أتباعهم ودعاتهم الضالين، ونقدها بما يبرز ما امتازت به من أكاذيب ومغالطات، وتناقضات، ومن سخافة في القول، وهوس في التفكير، ومن افتراء على الحق ومن ضلال وإلحاد في المعتقد.
- ذكر أمثلة من تأويل العلماء المؤمنين الراسخين في العلم تبطل وتمحو ما عسى أن يعلق بأذهان السامعين أو القارئين من تفسير وتأويل هؤلاء الضالين الملاحدة الذين سندهم الهوى الآثم ودافعهم الكذب على الحق، والافتراء على الله.

الفصـل الثـالـث:

موضوعه: ـ غلاة علماء الكلام ـ مجالات تأويلهم ـ أمثلة من تأويلهم ـ نقدهم.

مسائلــه:

ـ التعريف بعلم الكلام، وبالمراد من علمائه.

ـ نشأة علم الكلام، وانقسام توجه الباحثين عن الفترة الزمانية التي بدأت فيها الخطوات الأولى لهذا العلم، إلى رأيين.

ـ الفرق الإسلامية التي لها علماء متكلمون قادوا مسيرة الجدل في مجال العقيدة، أربعة هي: (الخوارج، والشيعة، والمعتزلة، وأهل السنة والجماعة).

أهل السنة والجماعة: ـ بدأ عطاؤهم في مجال ما أصبح يسمى بعلم أصول الدين أو علم التوحيد، أو علم الكلام:

- من عهد الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وفي عهد صحابته من بعده. ثم في زمن التابعين.
- استفاض العطاء والجدل حول قضـايا هـذا العلم في عهد أئمـة المذاهب.
- الإمام أبو حنيفة: آراؤه وأنظاره المروية عنه في قضايا ومسائل هذا العلم.
- الإمام مالك: مواقفه وآراؤه المروية عنه في قضايا ومسائل هذا العلم.
- الإمام الشافعي: رأيه وموقفه في المسائل العقدية، وفي علم الكلام.
- الإمام أحمد بن حنبل: رأيه وموقفه في المسائل الكلامية وما أثير حولها من جدل.

● رسالته إلى المتوكل وما لها من أبعاد في مجال بلورة العقيدة.

ـ الإمامان: الأشعري، والماتريدي، ودورهما في تأصيل مذهب أهل السنة والجماعة ونوع عطاء كل منهما في مجال الجدل وفي قضايا ومسائل علم الكلام.

ـ يمتاز مذهب أهل السنة والجماعة بالوسطية والاعتدال وبالبعد عن المغالاة والتطرف.

ـ الأركان التي اتفق عليها جمهور أهل السنة والجماعة ورأوها من أصول الدين.

المعتزلة: هناك اتجاهان تاريخيان في اطلاق هذا الاسم عليهم.

● الاتجاه الأول: يذهب إلى أن اطلاق هذا الاسم عليهم كان من خصومهم، ويعللون هذا الاطلاق بعدة روايات تاريخية.

● الاتجاه الثاني: يذهب إلى أن اطلاق هذا الاسم كان من المعتزلة حيث أطلقوه وسمّوا به أنفسهم.

ـ الأصول الخمسة التي قام عليها مذهبهم.

ـ مغالاتهم النابعة من فهمهم وتأويلهم لأصولهم الخمسة أدّت بهم إلى:

أ ـ تعطيل ذات الله من الصفات.

ب ـ التهور والجرأة على الله بأنه يجب عليه أن يثيب المطيع ويعاقب العاصي.

ج ـ غلق باب الرجاء في وجه العباد.

د ـ اعتبارهم وعد الله ووعيده، كوعد البشر ووعيدهم من حيث المستوى الاخلاقي وتحمل المسؤولية.

هـ ـ التسوية في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بين المعروف والمنكر في الاصطلاح الشرعي، وبين المعروف والمنكر في اصطلاحهم المحدد بهواهم، وباتجاه نحلتهم المذهبية.

ـ استناداً على هذه المغالاة اختلف الباحثون القدماء المؤرخون للفرق، في اعتبار المعتزلة علماء كلام، يمثّلون القمّة والتفوّق، أو في اعتبارهم ليسوا بعلماء كلام، وإنما هم أهل بدعة، ومثيرو شبهات.

● من أصحاب الرأي الأول، أبو الحسن الملطي الذي نوّه بشأنهم وبعلو كعبهم في مجال علم الكلام.

● ومن أصحاب الرأي الثاني ابن خلدون حيث لا يعتبرهم علماء كلام، وإنما هم أهل بدعة ومثيرو شبهات.

● الرأي الصواب فيهم. هو أنهم لهم دور عظيم، وشأن كبير في مجال علم الكلام، حيث دافعوا عن الإسلام بالعقل لرسوخهم فيه، وبالنقل لفهمهم له. ولكن لمبالغتهم في الاعتماد على العقل، وتقديم ما يذهب إليه ـ استنتاجاً وتأويلاً ـ على النص وما يراد منه ظاهراً أو تأويلاً غير مراد به الفتنة، جعلهم يقعون في هفوات أصرّوا عليها ـ عناداً وانتصاراً لمذهبهم ـ عرّضتهم إلى أن يوصفوا من أهل السنة والجماعة، بأنهم أهل بدعة وأصحاب زندقة.

ـ الباحث المنصف، إزاء ما امتاز به أهل السنة والجماعة، لا يسع إلا أن يحكم بأن مذهبهم هو المذهب السليم الذي يكشف للناس الحقيقة، ويقودهم إلى الحق نتيجة اعتمادهم على العقل فيما هو من مجاله، واعتبار الوحي المقدس هو الميزان الحقّ، وهو الحكم الذي ينبغي للعقل أن يخضع له، ويسلم له المقود في كل ما ليس من طاقته، ولا من مجال إدراكه.

ـ عرض رأي يلخص ما للمعتزلة وما عليهم، وما كان لهم من تأثير فكري، ومن نفوذ عقلي في المجتمع الإسلامي.

ـ مذهب المعتزلة يمثّل الغلوّ في التأويل إلى مستوى يخرج بهم أحياناً عن التأويل الحق الجاد، ويبعد بهم عن المعنى المراد من النص ومذهب أهل السنة والجماعة يمثل الوسطية والاعتدال وعدم الخروج عن هدي الكتاب والسنة.

ـ المجالات التي عالجها المعتزلة بتأويلهم.

أمثلة من تأويلهم، ونقد المبادىء التي بنوه عليها وهي:

- خدمة أصولهم الخمسة وتأييدها ولو بما يخرج النص عن المعنى المراد منه.
- ادعاؤهم أن كل محاولاتهم في التفسير هي مرادة لله.
- انكارهم للأحاديث التي تعارض مذهبهم.
- اعطاؤهم الأهمية القصوى للمعنى اللغوي.
- تصرفهم في القراءات المتواترة المنافية لمذهبهم.

ـ نماذج من تأويلات القاضي عبد الجبار في كتابه «تنزيه القرآن عن المطاعن» وبيان ما فيها من خدمة لاتجاهه المذهبي ومناقشته في ذلك.

ـ نماذج من تأويلات الزمخشري توضح أسلوبه ومنهجه عندما يكون بصدد تقرير رأي من آرائه الاعتزالية، ونقده في ذلك ببيان أنه ـ في سبيل تأييد أصل من أصوله المذهبية ـ يتخلى عن الاعتدال الذي هو ميزة من ميزات العلماء الراسخين في العلم، ويتماشى مع عواطفه الاعتزالية إلى مستوى من التعصب قاده إلى رمي خصوم مذهبه بالكفر وباخراجهم من دين الله «الإسلام» مما جعل أهل السنة والجماعة يحشرونه في زمرة المبتدعين المجاهرين ببدعتهم.

ـ ختم الفصل بجملة من الملاحظات:

الأولى: بيان الفرق الكبير بين منهجي علماء الكلام من أهل السنة

والجماعة، وعلماء الكلام من المعتزلة في استعانتهم باللغة، في تفسيرهم وتأويلهم، وفي هدفهم من الاستعانة.

الثانية: البعد العظيم الجامع المانع المستفاد من قوله تعالى: ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾[1].

فالنظم القرآني المعجز في الآية يعطي للكلمات اللغوية أبعاداً تجعلها أوسع مدى وأبعد معنى، من معطياتها في إطارها اللغوي البحت.

الثالثة: إبراز الفرق بين المعنى المراد من اللفظ إذا ما استعمل في بيان صفة من صفات الله تعالى، وبين المعنى المراد منه إذا ما استعمل في بيان صفة من صفات الخلق.

الرابعة: ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية، نصوص كثيرة تدل على أن الله تعالى خالق لكل شيء، وأن مرجع كل شيء إليه وحده، وأن هداية الخلق وضلالهم بيده.

الخامسة: في القرآن الكريم نصوص عديدة تنبىء بأن المصير لله وأن العباد في هذا المصير إما إلى جنة ونعيم دائم، وإما إلى جحيم وعذاب أليم.... وفي كلتا الحالتين لا يخرجون عن فضل الله وكرمه، وعن عدله وإنصافه، وقبل هذا المصير، باب التوبة والغفران مفتوح أمامهم في الحياة الدنيا.

السادسة: بيان كيف خرج المتجادلون المتمذهبون المتعصّبون لاتجاهاتهم المذهبية بالعقيدة الإسلامية من سماحتها وسلامتها ومن وضوحها وجلائها، ومن سعة أبعادها وعمق معانيها، ومن تكامل العقل والنقل في رحابها، ومن إزالة عجز طاقات الإنسان ومداركه العقلية والحسية بمدد السماء

---

(1) سورة الشورى آية 11.

وأنوار الوحي إلى عقم الجدل، وضيق المذهبية، وبذلك اشتغلوا بالقشور، وأهملوا اللب.

السابعة: لو اتجهت الفرق الإسلامية أيام احتدام الجدل والحوار، أيام إفساح المجالات والميادين لعقولهم المتوثبة للأخذ، والمتفتحة للعطاء، إلى ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية، بعقول غير متمذهبة، وبأنظار وآراء غير متعصبة، وبابحاث ودراسات غير متحيزة، وبمناهج واضحة تؤصل الواقع، وتزيد فيما يحتاج إليه من ابداع وتنير المستقبل لتهيىء له ما يطلبه، ولتحكم ربطه بالحاضر، وبما قبله من الخصائص التي لا تفقد جدتها، ولا ينال منها الزمان.

لو اتجهت تلك الفرق هذا الاتجاه لأعطت للمسلمين خاصة ولكافة الناس عامة:

أ ـ فلسفة عقدية سندها العقل غير المتمذهب، والنص المقدس الذي يبعد العقل عن اتباع الهوى، ويهديه إلى الرشد والصواب، ويعينه على إدراك ما عجز عن إدراكه.

ـ فلسفة مبرأة من متاهات الهوى، ومن مهاترات التعصب، تريح الناس الطالبين للحق من أجل الحق، من افتراضات والتواءات ما يسمى «بالفلسفة ـ الماورائية» التي تاهت بأصحابها في مجال ما وراء المادة، وفي رحاب الغيب الذي يعجز عن إدراكه العقل البشري المجرد، ولا يعلمه إلا الله تعالى.

ـ فلسفة تجعل منهم، وممن يتخرج من عطائهم، رواداً يطلبون الحقّ من أجل الحق ويسعون إلى اليقين من أجل اليقين.

ـ فلسفة عقدية ذات أبعاد ثلاثة، تحدد للإنسان علاقته بخالقه، وبالكون المحيط به. وبالمصير الذي ينتهي إليه.

ب ـ ولأعطوا أيضاً مع الفلسفة العقدية هذه، فلسفة أخلاقية سلوكية في

الحياة تسمو بالإنسان فتزكي روحه، وتطهر قلبه، وتجعله مستقيماً ينفع نفسه، وغيره ممن يشاركه الحياة، ويقاسمه العيش. وفلسفة مصيرية تنبىء الإنسان بمبدئه ومنتهاه، وبحقيقة رسالته التي هو مكلف بها، ومسؤول عن القيام بها في المرحلة التي بين مبدئه مكلفاً ومنتهاه مجازى.

الفصل الرابع:

موضوعه: غلاة الصوفية ـ أعلامهم في التأويل ـ خصائص تأويلهم ـ إبداء الرأي فيما ذهبوا إليه.

مسائله:

ـ التعريف بالصوفية.

ـ اشتقاق كلمة (التصوف) وبيان المعنى المراد منها.

ـ نشأة التصوف الإسلامي وتطوره.

ـ هل التصوف اتجاه من جملة الاتجاهات الإسلامية الصميمة، أو هو اتجاه أجنبي عن الإسلام.

الإجابة عن ذلك.

ـ دوافع اهتمام المستشرقين بالتصوف الإسلامي وبإصدار البحوث والدراسات عنه.

ـ ذكر أقوال لبعض الباحثين المؤرخين حول أصالة التصوف الإسلامي.

ـ ابداء ملاحظة تتمثل في اشكالية السؤالين التاليين:

● هل الرياضة الصوفية تفيد معرفة عقلية عالية إلى مستوى معرفة الذات العلية معرفة مباشرة، كما يدعي بعض المتصوفة في لحظة من لحظات الاتصال الوثيق بالذات العلية؟

obeikandl.com

● وهل في إمكان الصوفي من حالة الاتصال هذه، أن يوصل نتائج رياضته إلى غيره إيصالاً لا يحوّل تجربته الروحية الشعورية إلى نظرية فكرية علمية تفيد المعرفة للناس كما تفيدهم التجربة العادية؟.

ـ عرض ما أجاب به الفيلسوف المسلم محمد اقبال عن هذه الاشكالية.
ـ أعلام الصوفية وذكر طبقاتهم، ومن كان على رأس كل طبقة.
ـ ذكر جملة من أقوالهم الصوفية.
ـ إثارة سؤال وهو الآتي:

● هل أعلام الصوفية قد انتهوا، وأصبحوا تاريخاً يذكر، ونماذج رائعة من التقوى والورع؟ أم لم ينتهوا بل هم يتوارثون مذهبهم، وطريقة معرفتهم، ومنهج عملهم وسلوكهم، جيلاً بعد جيل؟.

● للإجابة عن هذا السؤال بطرفيه، وما تضمنه من اشكالية، ذكر ما قاله الإمامان الصوفيان السّلمي والقشيري منذ القرن الخامس الهجري.

ـ للصوفية في سلوكهم منهجان:

● منهج إسلامي في تصوره، وفي مسالك عمله، سنده القرآن والسنة وما اشتملا عليه، من هدي وتوجيه، ومن مثالية تربوية لا تجافي الواقع ولا تعادي العقل فتحاربه في عطائه الجاد الرصين، ولا تستهين بالقلب في تدفقه الفياض، وفي سخائه الثري، ولا تركن إلى سكون الخلوة، وتترك العمل في رحاب الدنيا.

ـ ذكر بعض من أعلام هذا المنهج.

● ومنهج غير إسلامي، سنده الفلسفة عند البعض حيث عاشوا في افتراضات لا نهاية لها وإذا ما انتهت فإلى نهاية لا لون لها يشاهده أولو الأبصار، ولا طعم يتذوقه أولو الألباب وهو اتحاد الخالق والمخلوق بحيث لا يدرى من

الخالق منهما ومن المخلوق، وهذا ليس بتصوف، وإنما هو فلسفة نظرية تحارب الحقّ، وتجافي الحقيقة.

أو سنده الخيالات والأوهـام عند البعض الآخـر، حيث يعيشون في خيالات ورؤى وهمية وفي ذهول وفناء وتدمير للذات بغية الوصول إلى الاتحاد بالله ـ حسب ادعائهم ـ وهذا ليس بتصوف أيضاً، وإنما هو فرار من حياة العمل الجاد. . . إلى سلوك سلبي يمثل التيه والفراغ ويقتل الإنسان في الإنسان.

ـ أقسام التصوف، وأثرها في تفسير القرآن وفي تأويله.

● ينقسم التصوف إلى قسمين أساسيين:

● تصوف نظري، وهو الذي يقوم على البحث والدراسة.

ـ وتصوف عملي، وهو الذي يقوم على التقشف والزهد والتفاني في طاعة الله.

وكل من القسمين كان له أثره في تفسير القرآن وفي تأويله، مما جعل التفسير الصوفي ينقسم أيضاً إلى قسمين:

أ ـ تفسير فيضي أو إشاري، فيه نجد أغلب أعلامه يمثلون الوضوح في التفسير، والاعتدال في التأويل، وبعضهم يتجه إلى الغموض والغلوّ.

ب ـ تفسير نظري فلسفي، فيه نجد أعلامه يمثلون الغموض في التفسير، والغلو في التأويل، وقد يركنون أحياناً إلى التفسير الإشاري بلا غموض، وبدون غلوّ.

ـ طرح سؤال، وهو: هل للتفسير الإشاري أصل شرعي يقوم عليه بحيث يكون نوعاً من أنواع التفاسير التي لم يخرج أصحابها عن التوجيه القرآني، والهدي النبوي؟

أو هو أمر جديد جدّ بعد ظهور المتصوفة وذيوع طريقتهم؟

ـ الإجابة عن هذا قد ذهب إليها عدد من العلماء الباحثين ذوي الأنظار الإسلامية الواعية، هي التالية:

● لم يكن التفسير الفيضي الإشاري بالأمر الجديد في إبراز معاني القرآن الكريم بل هو أمر معروف أشار إليه القرآن من لدن نزوله على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونبّه إليه الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وعرفه الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وقالوا به.

ـ أمثلة من التفسير الإشاري المعتدل، وما فيه من تأويل مقبول.

ـ أمثلة من التفسير الإشاري غير المعتدل، والذي منهج التأويل فيه يثير الحيرة، ويجعل أصحابه من المغالين.

ـ ما يشترطه العلماء في التفسير الإشاري ليكون مقبولاً.

ـ التفسير الصوفي النظري.

ـ أبرز أئمته، ابن عربي.

ـ التعريف به.

ما قيل عنه: له وعليه.

ـ مذهبه في وحدة الوجود.

ـ منافاته للعقيدة من عدة نواح، وهي ما يؤاخذه بها جمهور أهل السنة والجماعة.

ـ كلمة الفصل والاعتدال فيه.

ـ أشهر مؤلفاته.

ـ نماذج من تأويله.

ـ طرح سؤال، وهـو أي المسلكين يتماشى وأنظار أهل السنة والجماعة،

ويعتبر تصوفاً إسلاميا في منهجه، وفي غايته وأهدافه.

ـ الإجابة عنه، بأن المسلك المقام على العلم الذي لا ريب فيه، وعلى المعرفة التي لا شكّ فيها وعلى الإيمان والتقوى، هو الذي يستجيب للهدي الإسلامي، ويتماشى مع أنظار أهل السنة والجماعة، سواء كان أصحابه من أهل النظر والبحث والدراسة، أو كانوا من أهل الذوق وتبدل الحال المحبين للزهد والملازمين للتقشف، والمتفانين في طاعة الله.

وما تولد عنه من تأويل لا يبتعد عن الحق، ولا يجافي الحقيقة.

الفصـل الخـامس:

موضوعه: ـ غلاة الفلاسفة ـ علاقتهم بتأويل القرآن ـ محاولتهم التوفيق بين الفلسفة والدين ـ مقولاتهم الفلسفية ومنطلقاتهم الفكرية ـ مناقشتهم وإبداء الرأي فيما لهم وما عليهم.

مسائلـه:

ـ تعريف الفلسفة.

ـ بيان أن المراد بالفلاسفة في هذا الفصل هم الفلاسفـة المسلمون والتوضيح أن المراد بالغلاة منهم ليس في مجال الفلسفة لأن الفلسفة هي الفلسفة لا غلوّ فيها ولا اعتدال وإنما في مجال علاقتهم بتأويل القرآن الكريم وتحكيم أنظارهم الفلسفية فيه، خدمة للفلسفة على حساب القرآن.

ـ أمثلة من تأويلاتهم تبرز هذه العلاقة، وتوضح تلك الغاية.

- نماذج من تأويلات الفارابي.
- نماذج من تأويلات ابن سينا.
- نماذج من تأويلات إخوان الصفا.

ـ بيان الفرق بين عمل العلماء الراسخين في العلم في مجال تأويلهم للقرآن، وفي كيفية دخولهم إلى الأبواب التي فتحها للناس في ميادين العلم والمعرفة، وفي مجال التفلسف وعمق التأمل وإمعان النظر، وبين عمل الفلاسفة الذين في محاولة دخولهم إلى تلك الأبواب استعملوا مفاتيح غير إسلامية فأخطؤوا وأساؤوا منهج البحث وحادوا عن مسلك الحق في التأويل.

ـ توضيح أن مع هذا، فإن المحاولة التوفيقية التي قام بها ابن رشد لها من العمق الفلسفي، ومن البعد الديني ما يجعلها محاولة مقبولة من عدة نواح.

ـ نماذج من تأويلات ابن رشد التي يبرز فيها مسلكه التوفيقي وإبداء الرأي فيما ذهب إليه وقرره.

ـ نماذج من تأويل الفيلسوف المسلم محمد اقبال الذي يمثل اللون الإسلامي الصرف حيث انطلق فيه من القرآن الكريم، إلى رؤية فلسفية ولّدها منه، ذات آفاق واسعة وأبعاد ثرية.

● وبجميع ما تقدم أسمح لنفسي فأقول:

إني قمت بعمل علمي واسع في آفاقه، مترام في أبعاده، متكامل في موضوعه، غير مدع الكمال فيه، لأن الكمال لله وحده، ولا يكون لأحد من خلقه.

وقد انتفعت بكل إعانة قدمت لي سواء من الأساتذة المحترمين الذين اشتهروا بخدمة العلم للعلم، وبإعانة الباحثين لترسيخ منهج البحث، ونشر عطائه المفيد، أو من بعض أصدقائي وأبنائي الذين تطوعوا ـ مشكورين ـ بمدي ببعض المراجع والمصادر، أو بإرشادي إليها.

وفي الختام أرجو من الله وأدعوه أن يجعل عملي هذا مصدراً من مصادر النفع ومرجعاً من مراجع نشر العلم والمعرفة، إنه سميع مجيب الدعاء.